

تفسير ابن كثير

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

وقوله : (ولا تصعر خدك للناس) يقول : لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك ، احتقارا منك لهم ، واستكبارا عليهم ولكن أَلن جانبك ، وابسط وجهك إليهم ، كما جاء في الحديث : " ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط ، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ، والمخيلة لا يحبها الله " . قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (ولا تصعر خدك للناس) يقول : لا تتكبر فتحقر عباد الله ، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك . وكذا روى العوفي وعكرمة عنه . وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : (ولا تصعر خدك للناس) : لا تكلم وأنت معرض . وكذا روي عن مجاهد ، وعكرمة ، ويزيد بن الأصم ، وأبي الجوزاء ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وابن يزيد ، وغيرهم . وقال إبراهيم النخعي : يعني بذلك التشديق في الكلام . والصواب القول الأول . قال ابن جرير : وأصل الصعر : داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها ، حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها ،

فشبه به الرجل المتكبر ، ومنه قول عمرو بن حنى التغلبي : وكنا إذا الجبار صعر خده
أقمنا له من ميله فتقوموا قال أبو طالب في شعره : وكنا قديما لا نقر ظلامه إذا ما ثنوا صعر
الرؤوس نقيمها وقوله : (ولا تمش في الأرض مرحا) أي : جذلا متكبرا جبارا عنيدا ،
لا تفعل ذلك ييغضك الله ؛ ولهذا قال : (إن الله لا يحب كل مختال فخور) أي :
مختال معجب في نفسه ، فخور أي على غيره ، وقال تعالى : (ولا تمش في الأرض
مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) [الإسراء : 37] ، وقد تقدم الكلام
على ذلك في موضعه . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله
الحضرمي ، حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى ، حدثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن
عيسى ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال : ذكر الكبر عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدد فيه ، فقال : " إن الله لا يحب كل مختال فخور "
فقال رجل من القوم : والله يا رسول الله إني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ، ويعجبني
شراك نعلي ، وعلاقة سوطي ، فقال : " ليس ذلك الكبر ، إنما الكبر أن تسفه الحق وتغبط
الناس " . ورواه من طريق أخرى بمثله ، وفيه قصة طويلة ، ومقتل ثابت ووصيته بعد موته .